الدرس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله وسلم عليه و على آله و أصحابه أجمعين أما بعد:

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن ابن ناصر السعدي –رحمه الله تعالى وغفر له و للشارح و السامعين –في كتابه أصول العقائد الدينية تحت الأصل الرابع مسألة الإيمان.

قال: **ويترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم بحسب مراتبهم و أن لهم من الفضل و السوابق و المناقب ما فضلوا فيه سائر الأمة ،ويدينون بمحبتهم و نشر فضائلهم و يمسكون عما شجر بينهم و أنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة و أسبقهم إلى كل خير و أبعدهم من كل شر .**

الشيخ :

فمسألة الإيمان مسألة عظيمة ذكر تحتها الشيخ –رحمه الله تعالى – حقيقة الإيمان وأنه يشمل اعتقادات القلوب و أقوال اللسان و أعمال القلوب و الجوارح ،ثم بيّن تفاوت أهل الإيمان في الإيمان و أنهم ليسوا فيه على درجة واحدة ،ثم أخذ يبين جملة من الأصول التي تترتب على معرفة حقيقة الإيمان إلى أن جاء هنا فقال –رحمه الله تعالى – و يترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ،عرفنا قريبا أن أوثق عرى الإيمان الحب في الله و البغض في الله و أن من أحب لله وأبغض لله و أعطى لله فقد استكمل الإيمان ،و لهذا فإن من الإيمان الواجب محبة أصحاب النبي عليه الصلاة و السلام،هنا إيمان واجب على الأمة أن يحبوا أصحاب النبي عليه الصلاة و السلام ،وأن لا يكون في قلوبهم إلا الحب لأصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وأن يحذر كل مسلم أن يكون في قلبه شيء خلاف ذلك تجاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ،لا الصحابة عموما و لا أفراد الصحابة ، فحق الصحابة –رضي الله عنهم و أرضاهم –على الأمة حبهم و توقيرهم واحترامهم و معرفة أقدارهم وعدم انتقاص أحد منهم أو سب أحد منهم أو الطعن في أحد منهم أو نحو ذلك فحقهم على الأمة حق عظيم ؛لأنهم خير أمة محمد عليه الصلاة و السلام عدلهم الله سبحانه و تعالى في كتابه و أثنى عليهم في مواضع كثيرة منه ،و أخبر سبحانه و تعالى عن رضاه عنهم و رضاهم عنه و أخبر أنهم في الجنة ﴿**وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى** ﴾ و أخبر بسابقتهم و خيريتهم ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ الصحابة أولى الناس دخولا في هذه الآية ،قال عليه

الصلاة و السلام : (**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) فالصحابة –رضي الله عنهم و أرضاهم –هم خير أمة محمد صلى الله عليه و سلم و مناقبهم و مآثرهم و فضائلهم المذكورة في الكتاب و السنة كثيرة جدا سواء مناقب الصحابة بعموم أو مناقب أفراد و أعيان من أصحاب النبي –صلوات الله و سلامه عليه و رضي الله عنهم أجمعين –،ولهذا من حقوق الصحابة –رضي الله عنهم و أرضاهم – على الأمة أن تكون قلوبهم نظيفة اتجاه الصحابة ليس فيها إلا الحب لأصحاب رسول الله صلوات الله و سلامه عليه ، ولهذا في سورة الحشر لما أثنى الله سبحانه و تعالى على الصحابة مهاجرين وأنصار أعقب ذلك بالواجب نحوهم في ثلاث آيات من القرآن ،الآية الأولى :أثنى فيها على المهاجرين و الآية الثانية: أثنى فيها على الأنصار ،و الآية الثالثة: ذكر فيها حال من جاء بعد المهاجرين و الأنصار وما ينطوي عليه قلوبهم من سلامة و ألسنتهم من سلامة اتجاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ،قال الله تعالى : ﴿ **لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ *وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ الآية الأولى ثناء على المهاجرين ،و الآية الثانية ثناء على الأنصار ،ثم في الآية الثالثة قال : ﴿**وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[الحشر : ١٠] فذكر جل شأنه حال من جاء بعد الصحابة أنه سليم القلب و سليم اللسان اتجاه الصحابة ،سليم القلب أي ليس في قلبه غل و لا حقد و لا حسد و ضغينة و غير ذلك من طوايا السوء ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً**﴾ أي طهر قلوبنا و نقي سرائرنا من الغل للمؤمنين أو لأحد من المؤمنين ،وفي مقدمة هؤلاء الصحابة الكرام –رضي الله عنهم و أرضاهم – وسلامة اللسان من السب أو الشتم أو اللمز أو الطعن أو الوقيعة أو غير ذلك وهذا في قوله : ﴿ **يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا**﴾ فليس في ألسنتهم إلا الدعاء و الثناء و ليس في قلوبهم إلا الحب و الصفاء ،هذه حال من جاء بعد الصحابة من أهل الإيمان ،بخلاف الذين مرض و امتلأت قلوبهم غلا على خيار الأمة و خيار الناس خيار أمة محمد عليه الصلاة والسلام ،فامتلأت قلوبهم غلا اتجاه الصحابة و ألسنتهم طعنا و شتما و همز و لمزا وهذه حال من في قلبه مرض ،وقد قال عليه الصلاة و السلام : (**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم و لا نصيفه**) وقال عليه الصلاة و السلام : (**إذا ذكر أصحابي فامسكوا**) يعني إذا ذُكروا بغير الجميل و بغير الذكر الحسن فامسكوا أي لا تخوضوا في هذا فإنه خوض باطل و خوض حرام و لا يجني منه صاحبه إلا الأوزار والآثام، و أما الصحب الكرام –رضي الله عنهم و أرضاهم – فإنهم لا يضرهم ذلك ،الصحب الكرام لا يضرهم شتم شاتم أو لعن لاعن أو سخرية ساخر أو استهزاء مستهزئ كل ذلك لا يضر الصحابة بل ينفعهم كما وضح ذلك قول أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها – ذُكر لها حال أناس أو رجل ينال من أبي بكر

و عمر ينال من أبي بكر و عمر فقالت رضي الله عنها : **إن الله لما انقطع عنهم العمل** -أي بالموت- **ما أحب أن ينقطع عنهم الأجر** . لأن من يقع في الصحابة و يسب الصحابة –رضي الله عنهم- فكأنه في حقيقة الأمر أعطى الصحابة من حسناته ،و قدم لهم من حسناته أما الصحابة لا يضرهم ذلك يوضح ذلكم الحديث الذي في صحيح مسلم الذي قال فيه عليه الصلاة و السلام : (**أتدرون من المفلس ؟**)قالوا :المفلس فينا من لا درهم لله و لا دينار ،قال : (**بل المفلس من يأتي يوم القيامة و قد شتم هذا و ضرب هذا و سفك دم هذا و أخذ مال هذا و انتهك عرض هذا فيؤخذ من حسناته فيعطون ،فإن فنيت حسناته يؤخذ من سيئاتهم فطُرح عليه فطُرح في النار**) ولهذا الذين يسبون الصحابة هؤلاء مفاليس ،كل ما استمروا في سب الصحابة و النيل منهم فهذا علامة الإفلاس وعلامة الحرمان ،و دلالة زيغ القلوب ومرض النفوس ،الذي يسب الصحابة هو من كبار المفلسين ؛لأن من يطلق للسانه العنان سبا و شتما لخيار الأمة وصفوتها و من عدلهم رب العالمين سبحانه و تعالى هذا لا يجني إلا على نفسه و لا يضر إلا نفسه ، و أما الصحب الكرام –رضي الله عنهم و أرضاهم – يضرهم من ذلك شيء ،فمقامهم علي و منزلتهم علية و مكانتهم رفيعة عند رب العالمين و عند النبي الكريم عليه الصلاة و السلام و عند خيار المؤمنين ، و لا يضر الصحابة شيء أن يقع فيهم من في قلبه غل أو زيغ أو مرض ،و الصحابة –رضي الله عنهم – هم حملة هذا الدين و أمناء الشريعة و صفو الأمة و خيارها ،هم الذين نقلوا لنا دين الله جل و علا ،وهم الذين بلغوه ،كيف بلغنا القرآن و كيف بلغتنا أحاديث الرسول عليه الصلاة و السلام؟ و كيف عرفنا الصلاة ؟ وكيف عرفنا الصيام ؟ وكيف عرفنا الحج ؟ و كيف عرفنا أنواع الطاعات ؟ إلا من طريق الصحابة ،الصحابة حملة الدين ،و من طعن في حملة الدين فهو في الحقيقة طعن في الدين نفسه ؛ لأن الطعن في الناقل طعن في المنقول ، فمن طعن في أصحاب النبي عليه الصلاة و السلام فهو في الحقيقة طاعن في الدين نفسه ؛ لأن الدين إنما يُعرف بنقلته و حملته ،فإذا طُعن في النقلة والحملة فهذا طعن في الدين نفسه،ولهذا قال أبو زرعة الرازي –رحمه الله – : إذا رأيتم الرجل ينتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم فاعلموا أنه زنديق لأنه القرآن حق و الدين حق ،و إنما أدى إلينا ذلك الصحابة ،يعني الصحابة إنما هم بلغونا ذلك ،وهؤلاء أرادوا أن يجرحوا شهودنا و عدولنا فهم بالجرح أولى وهم زنادقة ،فالطعن في أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم هو في الحقيقة طعن في الدين لأن الصحابة هم الذين نقلوه هم الذين بلغوه هم الذين ائتمنهم الله سبحانه و تعالى و اختارهم لأن يكونوا أصحابا لرسوله صلى الله عليه و سلم و صفوة عباده ،و أن يكونوا مبلغين لهذا الدين من بعد نبيه صلوات الله و سلامه عليه ،و عدلهم رب العالمين ,و عدلهم رسوله الكريم صلوات الله و سلامه عليه ،و كانوا أمناء في حفظ الدين و إبلاغه و حال كل واحد من الصحابة لسان كل واحد من الصحابة يقول هذا ما أداه إلينا رسول الله صلى الله عليه و سلم و نحن نؤديه إليكم وافيا كما سمعناه و لهم النصيب الأوفر و الحظ الأكمل من قول نبينا صلى الله عليه و سلم في خطبته في مسجد الخيف في منى في حجة الوداع (**نظّر الله امرئ سمع**

مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها) الصحابة لهم النصيب الأوفر من هذه الدعوة المباركة الميمونة التي دعا بها النبي صلى الله عليه و سلم لمن يبلغون دينه و يحملونه للناس قال : (**نظّر الله امرئ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها**) الصحابة سمعوا مقالة النبي صلى الله عليه و سلم من النبي عليه الصلاة و السلام أكرمهم اله عز و جل برؤية محياه و سماع كلامه و النظر إلى وجهه عليه الصلاة و السلام ،و النظر إلى هديه و سنته و أفعاله أكرمهم الله سبحانه وتعالى بذلك كله ،وكانوا أمناء في البيان و البلاغ بدقة متناهية و نصح عظيم ،الصحابة –رضي الله عنهم و أرضاهم– مآثرهم و مناقبهم و محامدهم و فضائلهم كثيرة جدا شائعة و ذائعة و مشهورة و لا يعمى عن مناقب الصحابة في القرآن و السنة إلا من طمس الله قلبه ،إلا من زاغ و ظل عن سواء السبيل و إلا مناقب الصحابة في كتاب الله جل و علا مأثورة و مشهورة و هي كذلك في سنة النبي صلى الله عليه و سلم مدونة و مسطورة و في كتب تاريخ و الأخبار ذائعة و شائعة ،بل إن من مآثر الصحابة العظام أن الله سبحانه و تعالى أثنى عليهم ثناء عاطرا في التوراة و الإنجيل قبل أن يوجدوا و قبل أن يُخلقوا و قبل أن تطأ أقدامهم الأرض عليهم رضوان الله ،قال الله سبحانه و تعالى في الآية الأخيرة من سورة الفتح : ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾[الفتح : ٢٩] و﴿**منهم** ﴾ هنا ليست للتبعيض كما يقوله بعض الزنادقة ﴿**منهم** ﴾ هذه بيانية تتناول جميع الصحابة –رضي الله عنهم – بلا استثناء ،فالصحب كلهم عدول لتعديل الله تبارك و تعالى لهم ،تأمل هذه الآية كيف أثنى رب العالمين على الصحب –رضي الله عنهم و أرضاهم– قبل أن يُخلقوا ففي التوراة وهو الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام و في الإنجيل وهو الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام ثناء عاطر على أصحاب محمد عليه الصلاة و السلام قبل أن يوجد أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم بقرون ذكرهم الله عز و جل و أثنى عليهم هذا الثناء الجميل في هذه الآية من سورة الفتح ذكر جل و علا ثناءه عليهم في التوراة و ثناءه عليهم في الإنجيل و إذا قرأت سورة الفتح بتمامها تجد أن كثيرا من آياتها في الثناء على الصحابة و بيان مآثر الصحابة و رضا الله سبحانه و تعالى عن الصحابة –رضي الله عنهم و أرضاهم – و الآيات في القرآن التي فيها ثناء رب العلمين على أصحاب النبي الكريم عليه الصلاة و السلام كثيرة جدا ، فكيف يصح من إنسان بل كيف يستقيم من عاقل يرى آيات في كتاب الله تعالى تتلى في مناقب الصحابة و فضائل الصحابة و أحاديث صحاح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم تُروى في دواوين السنة ثم لا يكون إلا صاحب غل على أصحاب النبي عليه الصلاة و السلام – نعوذ بالله من الضلال – كيف يصح من عاقل و كيف يستقيم من مؤمن عرف القرآن والسنة ثم لا يكون في قلبه إلا الغل لأصحاب النبي بل يكون في قلبه غل لخير الصحابة و أفضلهم و أعلاهم شأنا و أرفعهم مكانة أبي بكر

و عمر –رضي الله عنهم و أرضاهما – وقد شهد نبينا عليه الصلاة و السلام لهذين الصحابيين الجليلين أبي بكر و عمر بأنهما خير الناس عموما بعد الأنبياء لا كان و لا يكون بعد الأنبياء خير من أبي بكر و عمر لهذا أثنى عليهم نبينا عليه الصلاة و السلام فقد صحّ عنه أنه قال أبو بكر و عمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين و الآخرين عدا النبيين هذا لفظ حديثه عليه الصلاة و السلام (**أبو بكر و عمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين و الآخرين عدا النبيين**) أي في جميع الأمم لم يكن و لا يكون مثل الصحابة بعد الأنبياء فهم خير الناس عموما بعد الأنبياء ،أبو بكر –رضي الله عنه –هو الصحابي الوحيد من بين الصحابة كلهم نصّ الله جل و علا على شرف صحبته للنبي صلى الله عليه و سلم في آية تتلى في القرآن ﴿ **إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا**﴾ نصّ الله جل و علا في القرآن على شرف صحبته للنبي الكريم عليه الصلاة و السلام ،و أما ثناء النبي عليه الصلاة و السلام على أبي بكر و على عمر وذكره عليه الصلاة و السلام لفضلهما و مآثرهما فهذا يطول حصره و عده ،جمعه بعض أهل العلم في مجلدات خاصة في مناقب الشيخين –رضي الله عنهما– ثم تُصاب بعض القلوب بمرض و زيغ فيكون فيها من الحقد والغل على هذين الصحابيين ما ليس على كبار الكفار و أساطين الضلال، ثم يروون روايات مختلقة و أكاذيب ملفقة في الوقيعة في الشيخين –رضي الله عنهما – و الهمز و اللمز و الطعن و السب إلى غير ذلك ، ولهذا ينبغي على كل مسلم شرفه الله بالإسلام وهداه للإيمان و منّ عليه بأن كان من أهل هذا الدين أن يعرف للصحب قدرهم و أن يعرف لهم مكانتهم و أن يكون في قلبه الحب و التقدير و الاحترام لهم و أن لا يكون في قلبه شيء من الغل و الحقد والضغينة لأحد من أصحاب النبي صلوات الله و سلامه عليه ،الصحابة الكرام كلما كان العبد إلى هديهم أقرب و إلى طريقتهم أتبع و بسننهم متمسك كان أقرب إلى الخير ؛لأنهم خير الأمة ،فمن كان بهم أشبه فهو إلى الخير أقرب وكلما قرأ المسلم و طالب العلم في مناقب الصحابة و مآثرهم و فضائلهم كلما كان ذلك سببا في زيادة الإيمان و الحب و الاحترام ؛لأنه يقف على تاريخ عطر و سيرة فذة و هدي مبارك كانوا عليه –رضي الله عنهم و أرضاهم –و ما أجمل أن يُقال في شأن ذكر الصحابة و قراءة مآثرهم أن يُقال قول القائل :

كرر عليّ حديثهم يا حادي فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي

نعم ،الصحابة –رضي الله عنهم– عندما تقرأ تاريخهم و حياتهم تجد طعما و حلاوة و لذة ،تجد تاريخا مجيدا شريفا مفعما بالوفاء بالصدق ،بالنصرة لدين الله ، عززوا النبي صلى الله عليه و سلم و وقروه و نصروه و آمنوا بالنور الذي أنزل معه ،وبلغوا دين الله جل و علا و بدلوا مهجهم و أنفسهم و أموالهم في سبيل الله نصرة لدين الله ،قال الله سبحانه و تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب : ٢٣] هكذا كانوا ﴿ **وما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ التبديل و التغيير إنما كان بعدهم

أما الصحب –رضي الله عنهم– شهد الله لهم بهذه الشهادة و ذكر فيهم هذه العدالة ﴿ **وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ أي أنهم على الجادة و على الطريق و على الإئتساء و الاقتداء و هذه الآية التي ذكر فيها جل و علا شأن الصحابة ذكرها عقب قوله :﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [الأحزاب : ٢١] لما ذكر أن نبيه عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة للمؤمنين أثنى اله جل وعلا على الصحابة بأنهم على منهج الإئتساء و طريق الاقتداء و أنهم لم يغيروا و لم يبدلوا و لما كان الصحابة بهذه المثابة أمرنا بالسير على منهاجهم و سلوك طريقهم و كفى بالمرء خيرا وفضلا و نبلا أن يكون على جادة الصحابة ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**﴾ كفى بالمرء نبلا و شرفا و فضلا أن يكون متبعا للصحابة بإحسان ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً** ﴾[النساء : ١١٥] ،يقول عليه الصلاة و السلام : (**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا**) ماذا نصنع ؟ (**فعليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجذ و إياكم و محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار**) قال : (**الخلفاء الراشدين المهديين**) وصفهم و هم أربعة بالرشاد و الهداية وهذا الوصف الذي وصف النبي صلى الله عليه و سلم به الصحابة هو نظير الوصف الذي وصف الله جل و علا به في سورة النجم نبيه محمد عليه الصلاة و السلام في أول السورة ماذا قال الله ؟ ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى** ﴾[النجم : ٢] نفي الضلال فيه إثبات الهداية و نفي الغواية فيه إثبات الرشاد وهذا الذي وصف الله سبحانه و تعالى به وهذا الذي وصف النبي صلى الله عليه و سلم به الخلفاء الراشدين الأربعة قال : (**الراشدين المهديين**) الرشاد :صلاح العمل،و الهداية: صلاح العلم، فوصف النبي عليه الصلاة و السلام الأربعة بصلاح علمهم و صلاح عملهم ولهذا كفى بالمرء شرفا أن يكون على نهج الصحابة ،وعلى طريقة الصحابة أما من يقع في هؤلاء طعنا و شتما و لمزا و سبا فما أبعده بل ما أشد بعده عن الحق و الخير ،و ما أوغله في الضلال و الزيغ،فالصحابة –رضي الله عنهم و أرضاهم – هم خيار الأمة علما و عملا و صلاحا و تقوى لله تبارك و تعالى وهم جميعا في جنات النعيم ﴿ **وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى**﴾ ﴿ **وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ [المائدة : ٩] ، مغفرة ،رضوان ،جنات ،فوز ،نعيم ،إلى غير ذلك مما قرأه في حق الصحابة في آي القرآن الكريم و كذلك في أحاديث الرسول الكريم صلوات الله لو سلامه عليه ،ولهذا من ثوابت الاعتقاد و متقررات الإيمان أن يكون القلب محبا للصحابة محبا لأصحاب النبي صلى الله عليه و سلم عارفا بفضائلهم ذاكرا لجميلهم مثنيا عليهم لا يذكرهم إلا بالخير ،فحبهم و ذكرهم بالخير من علامات الإيمان ،و بغضهم و ذكرهم بالسوء من علامات الزيغ ،ولهذا في الآية التي مرت معنا وهي الآية الأخيرة من سورة الأحزاب لما ذكر الله سبحانه و تعالى ثناءه على الصحابة في التوراة و الإنجيل توج ذلك وختمه بقوله : ﴿ **لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ هذه الآية انتزع منها بعض أهل العلم و منهم إمام دار الهجرة الإمام

مالك –رحمه الله – انتزع منها أن الوقيعة في الصحابة سبا و شتما و امتلاء القلب غيظا على الصحابة و حقدا هذا دليل على انتفاء الإيمان لأن الله يقول ﴿ **لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ ولهذا من لوازم الإيمان بالله ربا و بالإسلام دينا و بمحمد صلى الله عليه و سلم رسولا أن يُحب أصحاب النبي عليه الصلاة و السلام الذين اختارهم الله سبحانه و تعالى لصحبته عن علم، اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه و سلم عن علم فكانوا خيارا كانوا أوفياء كانوا أصفياء كانوا خير صحب لخير الناس لسيد ولد آدم صلوات الله و سلامه عليه ،ثم من الإغال في الضلال ،والتمادي في الباطل أن يحمل بعض الضلال بعض أحاديث النبي عليه الصلاة و السلام على غير بابها و على غير مقصودها ،فما أشد جرم و أعظم أثم من ينزل قول النبي صلى الله عليه و سلم الذي ذكره فيه حوضه عليه الصلاة و السلام المورود ثم قال :(**يُذاذ عنه ناس أصحابي أصحابي**) و في رواية (**أصيحابي أصيحابي**) فيُقال : (**إنك لا تدري ماذا أحدثا بعدك**) فأقول :(**سحقا سحقا**) و في رواية (**أنهم لم يزالوا مرتدين بعدك القهقهة**)، فيأتي قوم من الضُلال و يحملون هذا الحديث على خيار الصحابة و يجعلون في أوائل من يدخل في هذا الحديث أبو بكر وعمر و غيرهم من خيار أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم –نعوذ بالله من زيغ القلوب – مع أن الحديث واضح لكل مبصر ،و أن المراد به من ارتد و مات مرتدا لم يزالوا مرتدين ،و من الذي حمل لواء محاربة المرتدين ؟ و من الذي تحشم قتالهم و مقاتلتهم ومن يطالع سيرة أبي بكر –رضي الله عنه و أرضاه – يجد من مآثره المجيدة و مناقبه الحميدة حرب المرتدين ،والحديث إنما يتناول من ارتد و مات مرتدا لأنه قال (**لا يزالون مرتدين على أعقابهم**) و بعد النبي عليه الصلاة و السلام ارتد من ارتد من الأعراب و غيرهم ،أول ما قام به أبو بكر – رضي الله عنه – حرب المرتدين بل من امتنع عن شيء من أمور الإسلام حاربهم قال: (والله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه و سلم لقاتلتهم عليه) ،ثم يأتي قوم من الضُلال و ينزلون هذا الحديث على ..الخيار ،وهذا من علامات الانتكاس و الارتكاس و زيغ القلوب و غل النفوس على أصحاب النبي الكريم عليه الصلاة و السلام ، ثم يروون في هذا الباب من الاختلاق و الكذب والافتراء في الوقيعة في أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم أمر لا يصدقه عاقل ، حتى أن بعضهم روى من المختلقات روايات فيها أن درجة أبي بكر و عمر في النار أنزل من درجة إبليس –عياذا بالله من ضلال القلوب – ، فالشاهد أن المؤمن عليه أن يحمد الله جل و علا حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على أن هداه للإسلام و أن يحمد الله جل و علا على أن شرفه بإتباع النبي صلى الله عليه وسلم و أن يحمد الله جل و علا على أن بقي قلبه نظيفا نقيا سليما اتجاه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه شيء من طوايا الشر و بطائن السوء ،فهذه من النعم العظيمة سلامة القلب اتجاه الخيار و صفو الأمة هذه من نعم الله العظيمة على عبده و من علامات الإيمان ،و من دلائل الخير أن يكون العبد نقيا صافيا اتجاه الخيار ، ثم موقف المسلم في الأمور التي شجرت بين الصحابة أو بعض الصحابة ، ما موقف المسلم ؟ الصحابة –رضي الله عنهم – وقع بين بعضهم شيء و إذا نظرت كتب التاريخ في هذا الباب تجد روايات كثيرة

كثير منها لا يصح و لا يثبت و مالا يصح لا يجوز الاعتماد عليه ، مالا يصح و ما لا يثبت لا يجوز الاعتماد عليه ، كل رواية فيها متهم أو كذاب أو وضّاع أو ضعيف الحفظ أو سيء الحفظ أو غير ذلك هذا لا يُعتمد عليها ، بل تُجتنب و تُترك و لهذا الذي شجر بين الصحابة يُروى فيه روايات كثيرة غير صحيحة تُذكر في كتب التاريخ مسندة ،وقد قيل قديما :من أسند فقد برأت ذمته . تُذكر بالأسانيد لكن الأسانيد بعضها فيها من هو متهم بالكذب والوضع و بعضهم من هو متروك و بعضهم من هو سيء الحفظ إلى غير ذلك فجميع هذه الروايات مطروحة ...،و لا يُعول على شيء منها و تبقى روايات قليلة صحيحة ثابتة في أمور شجرت بين الصحابة ،شجرت بين أصحاب النبي عليه الصلاة و السلام مثل ما كان بين الصحابي الجليل و الصحابي الجليل معاوية –رضي الله عنهم و أرضاهم أجمعين – فكلهم صحابة و معاوية خال المؤمنين و كاتب وحي رب العالمين و ثناء النبي صلى الله عليه و سلم مشهور و في دواوين الحديث و السنة مسطور ، فالذي شجر بين الصحابة نقول فيه قولا كليا مأخوذا من حديث النبي عليه الصلاة والسلام : (**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ،و إذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد و ذنبه مغفور**) ثم هم قوم خلوا و لهم ما كسبوا فما شأن من جاء بعدهم في الدخول حكما و من طلب ممن بعدهم أن يكون حكما أو فصلا بينهم ؟! سُئل أحمد إمام أهل السنة –رحمه الله تعالى – عما شجر بين الصحابة فقال : ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[البقرة : ١٣٤] ، وسُئل بعض السلف عما شجر بين الصحابة ،فقال: تلك فتنة طهّر الله منها سيوفنا فلنطهر منها ألسنتنا .ما حاجة الإنسان أن يدخل ؟! ولهذا من مسلك أهل السنة و الجماعة و طريقتهم فيما شجر بين أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم عدم الخوض في شيء مما شجر بين الصحابة إطلاقا لا يخوضون في شيء مما شجر بين الصحابة إلا إذا وجدوا أحدا من أهل الضلال يتناولهم بالباطل فإنهم يدخلون للدفاع عن الصحابة و ذكر مآثر الصحابة –رضي الله عنهم و أرضاهم – فمن ثوابت الإيمان و متقررات الدين أن يكون المسلم نظيف القلب نظيف السريرة نظيف الباطن اتجاه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و أن يكون في الوقت نفسه نقي اللسان طاهر اللسان اتجاه أصحاب النبي عليه الصلاة و السلام محققا قول الله تبارك و تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[الحشر : ١٠] قال –رحمه الله – : ويترتب على الإيمان محبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بحسب مراتبهم وهذا فيه إشارة إلى أن الصحابة ليسوا على مرتبة واحدة في الفضل بل هم على مراتب و ذكر أن للصحابة مراتب هذا جاء مبينا في القرآن الكريم قال : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ**﴾ وقال :﴿ **لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى** ﴾ أي الجنة ، لكن لا يستوون فرق بين من أسلم قبل الفتح و من أسلم بعد الفتح فرق بينهم لكن كلا من هؤلاء و

هؤلاء وعد الله سبحانه و تعالى الحسنى وهي الجنة ،ولهذا الصحابة –رضي الله عنهم – متفاضلون و بإجماع الأمة أفضل الصحابة أبو بكر –رضي الله عنه– ثم عمر ثم عثمان ثم علي ،بل جاء عن علي –رضي الله عنه – في حديث صحيح ثابت عنه قال : (**لا أجد أحدا يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري**) لأن هذا افتراء و الدلائل و الشواهد على فضل أبي بكر و عمر –رضي الله عنهما – على عموم الصحابة كثيرة جدا و بسطها أهل العلم بيانا و ذكرا في دواوين السنة و كتب الحديث ،فأفضل أمة محمد عليه الصلاة و السلام أبو بكر و عمر و عثمان و علي على هذا الترتيب ثم بقية العشرة ثم الذين شهدوا بدرا ثم الذين شهدوا أحدا و هكذا ،فهم ليسوا في الفضل سواء و ليسوا في الرتبة على درجة واحدة و لهذا قال –رحمه الله –:بحسب مراتبهم ، يعني كلما علت مرتبة الصحابي علا حظه من الحب و الاحترام ومعرفة القدر و المكانة .

قال :و أن لهم من الفضل و السوابق و المناقب ما فضلوا فيه سائر الأمة ، لهم مناقب و سوابق و فضائل فضلوا بها سائر الأمة ولهذا شهد لهم النبي صلى الله عليه و سلم بذلك قال : (**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) فلهم سوابق وفضائل فضلوا بها سائر الأمة يكفيهم تشريف الله سبحانه و تعالى لهم برؤية النبي عليه الصلاة والسلام و مصافحة يده و السلام عليه و أخذ الحديث عنه مباشرة و رؤية صلاته و رؤية حجه و رؤية عبادته لله تبارك و تعالى ،وسماع حديثه من فيه صلى الله عليه وسلم ،يكفيهم أنهم كانوا له أنصارا ولدين الله جل و علا أعوانا و لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أهل نصح و بيان و نشر و إيضاح ،يكفيهم فضلا و شرفا ذلك فلهم من السوابق و الفضائل مالا يوجد عند أحد سواهم ،ولو لم يأتِ في هذا الباب إلا قول النبي صلى الله عليه وسلم : (**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم و لا نصيفه**) انظر جبل أحد ما أكبره في الجانب الشمالي من المدينة يغطي الجانب الشمالي كله جبل ضخم و كبيرا جدا ،يقول عليه الصلاة و السلام : (**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم و لا نصيفه**) لو أن أحد الصحابة تصدق بمد و أحد مما جاء بعدهم تصدق بمثل جبل أحد ما يبلغ مد أحد الصحابة ،هذا من تفضيل الله سبحانه و تعالى للصحابة و ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾ قال :و يدينون .

أي أهل السنة بمحبتهم و نشر فضائلهم ،يدينون :أي مما يعتقده أهل السنة و يؤمنون به محبة الصحابة ،و أن يكون في القلب حبا لهم ،وأوثق عرى الإيمان الحب في الله و البغض في الله ،والصحابة –رضي الله عنهم – من أحق الناس و أولى الناس بذلك ،قال : ويدينون بمحبتهم و نشر فضائلهم ،نشر فضائل الصحابة هذا أيضا مما يدين الله سبحانه وتعالى مما يدين به أهل السنة و الجماعة لله جل و علا و مما يتقربون به إلى الله سبحانه و تعالى و من كرامة الله سبحانه و تعالى لنا جميعا هذا اليوم وهذا الصباح المبارك أن جلسنا مع مآثر الصحابة –رضي الله عنهم و أرضاهم و ألحقنا بهم و بالصالحين من عباده – .

قال :و يمسكون عما شجر بينهم ، أي: لا يدخلون في شيء شجر بين الصحابة ،و (**من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه**)، الذي شجر بين الصحابة هم بين مجتهد مصيب و مجتهد مخطأ و المجتهد المصيب له أجران و المجتهد المخطأ له أجر و ذنبه مغفور ، فيترك الإنسان الخوض في ما شجر بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و يمسك عن ذلك ، قال: ويمسكون عما شجر بينهم و أنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة ،و أنهم – أي الصحابة – أولى الأمة بكل خصلة حميدة ؛ لأنهم هم السابقون لكل خير و لكل فضل و لكل عبادة و لكل قربة إلى الله سبحانه و تعالى ،و أنهم أولى الأمة بكل خصلة حميدة و أسبقهم إلى كل خير و أبعدهم من كل شر ،وهذا فضل الله سبحانه و تعالى يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم . والله تعالى أعلم و صلى الله وسلم وبارك و أنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد و آله و صحبه أجمعين .